تتناسب وقوة المتغيّرات والمستجدات. حدث هذا، بصفة خاصة، منذ ما بعد غزو لبنان في العام ١٩٨٢، وهي الفترة عينها التي شهدت تزايد نشاط المؤسسات الاميركية والاوروبية «الطوعية» غير الحكومية، التي سبقت حكوماتها الى فلسطين المحتلة، الأمر الذي يفصح عن دورها في جسّ النبض السياسي بعد خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت[١٧]. وبدأ التفكير الجدي في أشكال للصمود والمقاومة رديفة للعمل المسلّح في فلسطين المحتلة. وفي هذا السياق، تحدّث البعض عن أنماط المقاومة المدنية كبديل مناسب للمرحلة. ومن هؤلاء مبارك عوض الفلسطيني الاصل الاميركي بالتجنّس، الذي انشغل بامكانية اتباع أنماط «اللاعنف»، وأسّس مركزاً في القدس الشرقية حمل اسم «مركز أبحاث اللاعنف». ويهمّنا، في هذا الموضع، لفت النظر الى ان التحدّث عن المقاومة المدنية واللاعنف والدعوة اليهما، كان يقود، حتماً، الى الانشغال بتكوينات المجتمع المدني، سواء صدرت هذه الدعوة عن عوض أو عن غيره. فتكوينات المجتمع المدني هي التي يقع على كاهلها، أساساً، الشروع في هذه الاساليب[١٨]. وعلى هذا النحو يكون مفهوماً لماذا تطلع عوض وآخرون غيره الى انشاء مؤسسات وأبنية بديلة تحل محل مؤسسات الحكم الاسرائيلي، بحيث تكون هذه المؤسسات الوطنية الأهلية الفلسطينية النواة الاولى للاستقلال في المستقبل[١٩].

لقد قصد عوض انشاء جهاز اداري لا يكون مرتبطاً البتّة بالاجهزة الرسمية، لا من حيث التكوين والتشغيل ولا من حيث الموازنات والتمويل. فعلى سبيل المثال، اقترح عوض العودة الى القانون العشائري بدلاً من المحاكم النظامية (وهذا هو جوهر تشكّل المجتمع المدني)؛ وكان معنيّاً بتشكيل لجان تقوم بمعالجة المحتاجين وأسر المعتقلين، ولجان تعنى بأوضاع القرى الخاضعة للحصار أو لمنع التجوّل؛ ودعا الى وضع خطة للتعليم، تستخدم في حال اغلاق المدارس الرسمية، ونقل الصفوف الى بيوت خاصة؛ كما نصح السكان بتخزين المواد الغذائية والوقود، وايجاد نظام دائم للاتصال مع وسائل الاعلام العالمية.

بصفة عامّة، عرض عوض ما لا يقل عن مئة وعشرين أسلوباً ممكناً للمقاطعة وعدم التعاون، التي تعتمد على الحشود الاجتماعية المتماسكة المؤطرة الخاضعة لقيادة متناغمة. وهو، في ذلك، كان يخطو، من ناحية، على وقع تجربة غاندي التاريخية في توجيه المجتمع المدني، والتي نجحت في مواجهة الاستعمار البريطاني في الهند، على الرغم من تعدّد الانماط الاجتماعية والابنية الدينية واللغات والعادات، وكان، من ناحية أخرى، يستهدي بأفكار منظّري المقاومة المدنية اللاعنيفة، كما وصفها جين شارب، الذي رأى ان المقاومة المدنية المعتمدة على قوة المجتمع المدني معركة لا تقل شأناً في متطلّبات الاعداد لها عن المعارك المسلّحة.

كانت دعوة عوض تدور في فلك تقوية المجتمع المدني الفلسطيني، بحسب متطلّبات المرحلة، ولم تجد مدّاً واسعاً في البداية، كما لم تتّضح أهميتها سوى عقب اندلاع الانتفاضة الكبرى. ومع ذلك، يمكن القول ان تلك الدعوة توازت مع جهود أخرى على الساحة العربية الفلسطينية، كانت تقوم، في التحليل النهائي، على الافكار عينها التي طرحها عوض، وتلتقي معها، وانْ بشكل غير معلن، أو صريح. وقبيل الانتفاضة، كانت الارض المحتلة تشهد تجذّر عدد كبير من المؤسسات الوطنية في مختلف المجالات. كان بعضها جديداً مستحدثاً؛ وتطوّر بعضها من أشكال وأبنية موجودة على الساحة بالفعل. حدث ذلك نتيجة استغلال مُركّز لأي هامش قانوني يفلت من مطرقة سلطات الاحتلال القانونية والقمعية.